

مظاهر من الأبحاث الدلالية في التراث العربي و الإسلامي

مهين حاجي زاده^١

تاريخ الوصول: ١٤٣١/٣/٢٨

تاريخ القبول: ١٤٣٢/١/٢٨

إن الدلالة من الموضوعات التي اهتم بها الفكر الإنساني منذ القدم و لعلماء العربية و المعارف الإسلامية دور كبير في دراسة المعنى. و قد قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني يتمثل في المحافظة على لغة القرآن لصحة تلاوته و استخراج الأحكام و التشريعات منه، و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة. لذلك تركّز البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته على تحديد المعنى و ما يحتويه القرآن الكريم من معاني و مقاصد. و كانت الحوارات العلمية و النقاشات المعرفية بين العلماء تصبّ كلّها في خانة المعنى. لكن التناول الدلالي في التراث الإسلامي و العربي كان ضمن اهتمامات لغوية أخرى، امتزج البحث فيه بضروب من المعارف المختلفة دون أن يحمل عنواناً مميزاً له استقلال في موضوعاته ومعاييره الخاصة. و لكن مع الأسف ظن كثير من الباحثين أن علم الدلالة علم نمت أصوله و ترعرعت في ظل الدراسات اللسانية الحديثة و لم يكن للعرب و العلماء المسلمين معرفة به. و الحقّ أنّ البحوث الدلالية العربية تضرب بجذورها إلى القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية فما بعد، و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نصجاً أحرزته العربية و أصله الدارسون في جوانبها.

تهدف هذه الدراسة في مقامها الأول إلى إبراز جهود علماء اللغة العربية و المعارف الإسلامية في القضايا الدلالية، و توضيح مدى اهتمامهم بالمعنى، و من ثم البرهنة على أصالة الدلالة عند الباحثين العرب من اللغويين و النحويين و البلاغيين بأن الدلالة علم إسلامي - عربي له سماته و مميزاته. في الوقت نفسه تشير إلى أن لعلم اللسانيات فضلاً كبيراً في إرساء مناهج البحث في علم الدلالة و وضع أصوله، حيث أصبح علماً قائماً بذاته، بعد أن كان ظلاً يسير في كنف العلوم الأخرى. إضافة إلى ذلك

١. أستاذ مساعد و عضو هيئة تدريس بجامعة تربيت معلم (أذربيجان) hajizadeh_tma@yahoo.com

بينت الدراسة أن كثيراً من معطيات الدرس الدلالي الحديث توصل لها علماء العربية والمعارف الإسلامية أثناء دراستهم للغة، مما جعلنا نعتقد أن علم الدلالة علم قديم تناوله اللغويون من قبل، و حديث باعتبار أن أصوله وأسسه و منهج البحث فيه قد حددت في مطلع القرن العشرين.

الكلمات الرئيسية: علم الدلالة، المعنى، التراث، اللسانيات، علماء اللغة العربية و المعارف الإسلامية.

١ - مقدمة

علم الدلالة هو اصطلاح حديث لكلمة "Semantique" الفرنسية أو "Semantics" الإنجليزية. و أصل الكلمة الفرنسية هو اصطلاح وضعه اللغوي الفرنسي بريال^١ سنة ١٨٩٧ وورد في كتابه "Essai de sémantique" مقالات في علم الدلالة و الكلمة تعود إلى الكلمة اليونانية "sema" التي تعني «علامة». و مما يجدر ذكره هنا أن كلمة "sema" المؤلفة من الحرفين الأصليين s m قريبة الشبه من الجذر العربي المؤلف من الأصليين س، م اللذين يرافقهما حرف لين، فهناك: (سمة). بمعنى العلامة وهي مشتقة من الأصل (وسم) أي علم الشيء. و هناك من يرى أن (اسم) قد اشتق من (وسم). و قد اختلف المؤلفون العرب في مقابلة مصطلح "Semantics" فبعضهم يقابله بعلم المعنى وبعضهم يقابله باصطلاح دلالة الألفاظ. و لكن الأكثر شيوعاً الآن هو علم الدلالة (عمران، ٢٠٠٧: ٩، داية، ١٩٩٦: ٦).

لعلماء العربية جهود نيرة و ثاقبة في الدرس اللغوي على اختلاف ميادين، فقد كانوا يصدرون في دراساتهم اللغوية عن رؤية شاملة انبثقت من تصورهم للغة على أنها وسيلة للتفاهم و وعاء للفكر. و البحث اللغوي عند العرب منذ بداياته تركّز على تحديد المعنى و ما يحتويه القرآن الكريم من معاني و مقاصد. فقد كان هم الدراسات العربية بمختلف

فروعها و مسمياتها من نحو و صرف و بلاغة و لغة و معاجم «معرفة المعنى» و كانت الحوارات العلمية و النقاشات المعرفية بين العلماء تصبّ كلّها في خانة المعنى و قرروا أن «كل ما صلح به المعنى فهو جيد و كل ما فسد به المعنى فمردود» (المبرد، لا تا، ٣١١/٤). و هذا أقوى دليل على المكانة التي يحتلها علم المعنى. لذا كان علم الدلالة - كما يبدو لنا - جزءاً ملازماً لعلوم اللغة العربية لم ينفصل عنها، إلا أنه اتخذ مساراً مستقلاً و متكاملًا قائماً بذاته عند علماء الأصول. و لكن مع الأسف ظن كثير من الباحثين أنه لم يكن للعرب معرفة بعلم الدلالة، فهو علم نمت أصوله و ترعرعت في ظل الدراسات اللسانية الحديثة. و لسنا نشك في أن لعلم اللسانيات اليد الطولى في الكشف عن أسس هذا العلم و بيان أصوله و تعهده بالرعاية و العناية حتى غداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان ظلاً يسير في كنف الدراسات اللغوية الأخرى. و لكن أين دور علماء العربية و المعارف الإسلامية في هذا المجال؟ و هم الذين «بحكم مميزات حضارتهم و بحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات قد دعوا إلى التفكير في اللغة في نظامها و قدسيتها و مراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شتولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضاً إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين» (مسدي،

1. Michel. Bréal

١٩٨١: ٢٦). إن هذا ليس زعماً منشأه الرجم بالغيب بل أشاد كثير من الباحثين المنصفين بما وصل إليه الدرس اللغوي عند العلماء المسلمين.

إن علم الدلالة علم قديم حتى وإن بدا أنه حديث. فما من أمة من الأمم إلا وبحثت في ألفاظ لغتها محاولة تحديد المعنى الذي يحمله اللفظ عندما يكون مفرداً، و بيان ما يؤول إليه المعنى عندما يوضع في تركيب (سعران، ١٩٩٧: ٢٦١). هو علم قديم باعتبار أن البحث في المعنى من حيث الوضوح والغموض والصحة وعدمها والإحتمال والفساد وما تتعرض له دلالة الألفاظ من تحول في المعنى إلى معنى آخر وأسباب هذا التحول ومظاهره مُشاهد وملاحظ في أقدم ما وصل إلينا من تراث الأمم. ثم هو علم مستحدث باعتبار أن «علم اللسانيات الحديث» طور نظرياته، ووضع أصوله، ووضح معالمه، وبيّن صلته بالعلوم الأخرى. فغداً علماً قائماً بذاته له مناهجه ونظرياته، بعد أن كان ضمن العلوم الأخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس.

والعرب مثلهم في هذا مثل الأمم الأخرى، جاءت مباحث الدلالة عندهم موزعة في مختلف علومها وتراثها، حيث كان المعنى هو الوجهة والأساس الذي إليه يقصدون وبه يعنون. لذا لا نعدم أن نرى أسساً وأصولاً تشبه وتضارع ما توصل إليه علم الدلالة بمفهومه الحديث، وهي منتشرة هنا وهناك في التراث العربي. ولقد كان عبد السلام مسدي محقاً حين قرر أن للعرب نظرية لغوية فقال: «إن التفكير العربي قد أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية» (مسدي، ١٩٨١: ٢٤). وعلى الرغم من إنكار بعض الدارسين لذلك، عندما نعتوا الحضارة العربية بقولهم «لم تفرز في مجال اللغويات سوى علم تقني منطلقه وغايته نظام اللغة العربية في حد ذاتها لا غير». (المصدر

السابق) وهذا مخالف لما نجد من أصول وغايات تشبه ما توصل إليه المحدثون.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان تناول علماء العربية و المعارف الإسلامية للمعنى، وكيفية اهتمامهم به في مختلف صوره، من خلال الإستقراء التاريخي لآرائهم، موضحة هذه الجهود التي لا تقل أهمية عما نجده عند علماء الدلالة في صورته المعاصرة. فقد كان الإهتمام بالمعنى ومسائله ماثلاً في شتى ميادين المعرفة التي خلفها القدماء، الأمر الذي يصعب الإلمام والإحاطة به، مما جعلنا نكتفي بالرجوع إلى مصادر متعددة في أصولها العربية قديماً وحديثاً. هذه المصادر كانت نعم المعين في استجلاء الحقيقة و بيان الفكرة.

لقد استقطبت البحوث المتعلقة باللسانيات وخاصة علم الدلالة اهتمام الباحثين و طلاب اللغة العربية في إيران طوال السنوات الأخيرة وقد كتبت مقالات و اطروحات في الموضوعات المتعلقة بالمعنى في الجامعات الإيرانية. لكن حتى الآن لم تكتب مقالة أو رسالة في إيران حول موضوع الأبحاث الدلالية في الفكر العربي والإسلامي التراثي. ولكن يمكننا أن نعتز على كتب في البلاد العربية في مجال هذا الموضوع منها: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق لفايز الدايدة، أصول تراثية في علم اللغة لكریم زكي حسام الدين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث لعلي زوين، علم الدلالة أصوله ومناهجه في التراث العربي لعبد الجليل منقور وعلم الدلالة عند العرب لعادل الفاخوري. لكن أولئك الباحثين لم يبيّنوا الجهود المبكرة لعلماء الاسلام والعرب من خلال الإستقراء التاريخي لآرائهم المتنوعة في الموضوع، ولم يشيروا في كتبهم إلى العلماء الذين تناولتهم هذه المقالة.

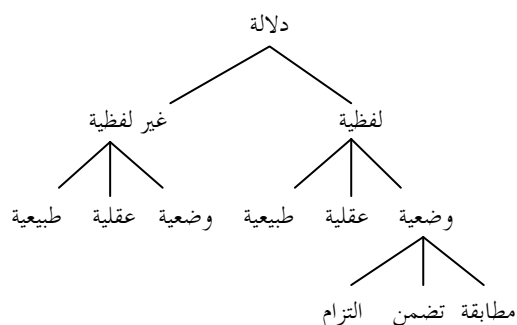
٢- الدلالة لغةً واصطلاحاً

٢-١ - الدلالة لغةً: للفعل (دلّ) الثلاثي صور صرفية متعددة بفتح حرف (الدال). دلّه على الطريق يدُلّه بالضم (دلالة) بفتح الدال و كسرهما و (دُلّولة) بالضم، و الفتح أعلى (فيروزآبادي، ١٩٨٣: ٣/٣٧٧، رازي، ١٩٨٣: ٢٠٩). و تدلّت المرأة على زوجها، و دلت تدلّ، و هي حسنة الدلّ و الدلال و ذلك أن تربه جراً عليه في تغنّج و تشكّل (زمخشري، ١٩٨٦: ١/٢٨٠). و دلّت بهذا الطريق عرفته، و دلّت به أدلّ دلالةً. و قال ابن دُرّيد الدلالة، بالفتح حرفه الدلال و هو الذي يجمع بين البيّعين (ابن منظور، ١٩٨٨: ١١/٢٤٨) و الدلّ: حالة السكينة و حسن السيرة و هذا قريب المعنى من الهدى، الدلال: الوقار. و الدليل مفرد الجمع منه أدلّة و أدلاء، و الدلالة جمعها دلائل: ما يقوم به الإرشاد أو البرهان أو المرشد (فيروزآبادي، ١٩٨٣: ٣/٣٧٧) و دلّ دللاً الرجل: تغنّج و تلوى، و أدلّ إدلالاً عليه اجترأ عليه. و الدالة مؤنث الدال: ما تدلّ به على صديقك (المصدر السابق: ٣/٣٨٨). و بنظرة سريعة في المعجمات اللغوية لمعاني هذه المفردة تجدها قد قصرت اهتمامها على الدلالة المادية المتصلة بمفهوم الدليل.

٢-٢ - الدلالة اصطلاحاً: يقصد بها الكيفية التي يتم فيها استعمال المفردات ضمن سياق لغوي معين، و بيان علاقتهما بالعملية الذهنية (زوين، ١٩٨٦: ٨٨) لأن الألفاظ لا تدل على الأمور الخارجية بل على الأمور الذهنية، يدل على ذلك: أولاً / أن الشكل المرئي عن بُعد تختلف أسماؤه لاختلاف تخيله. أي تختلف الألفاظ باختلاف التخيل. ثانياً / أن الشكل المعين يشبه واحد و ينفيه آخر و لو كان اللفظ كما في الخارج للزم اجتماع النقيضين. ثالثاً / إن اللفظ دليل على المعنى.

رابعاً / أن دلالة «خرج زيد» في الصدق و الكذب واحدة، و لو أفادت الثبوت الخارجي لاختلفت الدلالة، و إنما أفاد الحكم بالوجود، و لذلك اتحدت دلالاته فيهما (زملكاني، ١٣٩٤ ق: ٨٠). و الدلالة إما أن تكون وضعية أو عقلية، فالوضعية كدلالات الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة السماء و الأرض و الجبال على مسمياتها و لا شك في كونها وصفية و إلّا لامتنع اختلاف دلالاتها باختلاف الأوضاع (رازي، ١٩٨٥: ٣٩). و أما العقلية فإما على ما يكون داخلًا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء من مفهوم البيت، و لا شك في كونها عقلية و ذلك لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة و لا يكون متناولاً لأجزائها. و إما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط (المصدر السابق: ٣٩-٤٠). و قد أدرك الجاحظ أن الألفاظ لا تبقى محتفظة بمعانيها الأولى، بل تنتقل إلى غيرها و تكتسب صوراً جديدة لم تكن معروفة من قبل (مطلوب، ١٩٨٣: ٤٥). و عرف بأن اللغة تتطور دلالياً بتطور الحياة (المصدر نفسه: ٤٦).

وهناك تقسيمات أخرى للدلالة (راجع: داية، ١٩٩٦: ٢٠-٢٢، زوين، ١٩٨٦: ١١٥-١١٦) يمكن أن نمثلها كالآتي:



٣- تعريف علم الدلالة و موضوعه

٣-١ - تعريفه: علم الدلالة (بفتح الدال و بكسرهما) semantics أو علم المعنى هو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى (مختار عمر، ١٩٢٨: ١١، عمران، ٢٠٠٧: ٩). و يدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغوياً أو غير لغوي (مثل الحركات، الإشارات، الهيئات، الصور، الألوان، الأصوات غير اللغوية و غير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي) (عكاشة، ٢٠٠٥: ٩).

٣-٢ - موضوعه: لقد اختلف العلماء في موضوع هذا العلم؛ فمنهم من جعله خاصاً بدراسة معاني الكلمات المفردة، و هذه - كما يقول المدققون - نظرة ضيقة قنعت بالأمور السطحية و لم تأت بجديد في هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة لدراسة قديمة معروفة، و هي صناعة المعجمات و ما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة و إعطائها معانيها العامة (بشر، ١٩٦٩: ١٥٣).

و منهم من جعله يشمل جانبين: جانب اللفظة المفردة، و جانب دراسة المعنى و مشكلاته على مستوى التراكيب؛ أي أن موضوع علم الدلالة عند هؤلاء له فرعان: الدلالة المعجمية^١، و الدلالة النحوية^٢ و الفرع الثاني يلتقي في كثير من جوانبه مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (انظر: زكي حسام الدين، ١٩٩٣: ٢٦٦، بشر، ١٩٦٩: ١٥٣). و فرق ثالث خصص الدلالة «لدراسة المعنى على مستوى اللفظة و العبارة كليهما، و ذلك في إطار اجتماعي معين، و من زاوية معينة، هي زاوية الإستعمال في البيئة الخاصة» (بشر، ١٩٦٩: ١٥٣) أي أن دراسة اللفظة أو العبارة تتم من خلال مسرحها اللغوي.

1. Lexical Semantics
2. Syntactic Semantics

٤- علم الدلالة: نظرة تاريخية موجزة

٤-١ - عند اليونان: لم تنتظر الأمم نهاية القرن التاسع عشر لتدرس الدلالة و توليها اهتمامها، بل شغلت ذهن المفكرين على مرّ التاريخ، فقد بحث جوانبها المختلفة الفلاسفة و المناطق و اللغويون و غيرهم. و يعدّ فلاسفة اليونان من الذين لفت الدلالة نظرهم إذ «راحوا يتساءلون عن أسرارها، و يعجبون لتلك المجموعات الصوتية التي ينطق بها المرء، فتعبّر عما يدور في خلده، و تحقّق له غرضاً دنيوياً نافعاً، بل و تصله بيني جنسه صلة وثيقة تجعل منهم مجتمعاً إنسانياً متعاوناً متفاهماً» (أنيس، ١٩٧٢: ٦٢). و من القضايا الأساسية التي حظيت لديهم بقسط وافر من الاهتمام و الجدل و المناقشة نشأة اللغة التي عاجلوا من خلالها العلاقة بين الكلمة و معناها، أي العلاقة بين الدال و المدلول أو الصوت و المعنى، و حاولوا معرفة هذه العلاقة طبيعية كانت أو اصطلاحاً. كما حدّدوا أقسام الكلام، و بنى أرسطو أنواعه على أساس دلالي، و رأى أنّ الاسم له دلالة مجردة عن الزمن، على حين أنّ الفعل له دلالة على الحدث و الزمن، أمّا الحرف فليس له في نفسه أي معنى (قدور، ١٩٩٦: ٨٢). و ميّز أيضاً بين ثلاث قضايا هي:

١- الأشياء في العالم الخارجي.

٢- التصورات أو المعاني.

٣- الأصوات أو الرموز أو الكلمات.

و فتح ذلك الباب الكثير من الأفكار و المناقشات حول الدلالة و المعنى في العصور الوسطى، كما تعرض أفلاطون إلى قضية العلاقة بين اللفظ و المعنى و اتجه إلى أن العلاقة بينهما طبيعية ذاتية. بينما اتجه أرسطو إلى أن هذه العلاقة اصطلاحية عرفية، أي متواضع عليها و قام بشرح هذه

- عمل الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية و المجازية.

- أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد.

هذا بالإضافة إلى أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة. و لابد من الإشارة هنا إلى ما قام به الأصوليون و علماء الكلام، و ما ذكره من: دلالة اللفظ و دلالة المنطوق و دلالة المفهوم. بالإضافة إلى أعمال البلاغيين في دراسة الحقيقة و المجاز، و نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

٤- ٤. عند المحدثين: إن هذه الجهود اللغوية في التراث العربي و تلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى من الهنود و اليونان و اللاتين و علماء العصر الوسيط فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث، و أرست قواعد هامة في البحث اللساني و الدلالي، استفاد منها علماء اللغة المحدثون، بحيث سعوا إلى تشكيل هذا التراكم اللغوي المعرفي في نمط علمي يستند إلى مناهج و أصول و معايير. و لم تزل الدراسات الدلالية في العصر الحديث تتسع و تستقل في مؤلفات خاصة بالإضافة إلى ما تأخذه من مساحات ضمن إطار الدراسات اللغوية و علم اللغة الذي استوى و تطور في الفترة الأخيرة و كان هناك عدد من الباحثين العرب الذين اهتموا بالسميما مثل الدكتور أحمد مختار عمر، و في الدراسات اللغوية الغربية دعا تشومسكي في البداية إلى ضرورة فصل النحو عن المعنى إلا أنه عدل عن موقفه بتأثير عدد من اللسانيين الذين أدخلوا المكون الدلالي في التحليل. و نذكر على سبيل المثال (ستيفن أولمن)^٢ الذي أصدر عدداً من الكتب حول دراسة المعنى، منها: أسس علم المعنى، و دور الكلمة في

العلاقة العرفية و بياها (مختار عمر، ١٩٢٨: ١٧، عمران، ٢٠٠٧: ١٠-١١).

٤- ٢. عند الهنود: اهتم الهنود بالتأمل في لغتهم و قاموا بدراساتها بدافع ديني للحفاظ على كتابهم المقدس (الفيدا) و هذا ما يشبه ما كان من أمر العرب عندما درسوا لغتهم. و كان (بانيني) الذي عاش في القرن الخامس و الرابع قبل الميلاد قد وضع كتاباً في السنسكريتية سماه (المثنى) قيل أنه أشبه بكتاب سيويه.

عالج الهنود كثيراً من المسائل الدلالية، و خاصة بانيني^١ حين وضع القواعد النحوية و الصوتية و الصرفية و الدلالية لكتابهم المقدس "الفيدا"، و تعرّضوا للفظ و المعنى و أنواع الدلالات للكلمة، و أهمية السياق في إيضاح المعنى، و الترادف، و المشترك اللفظي، و القياس و دور المجاز في تغيير المعنى (مختار عمر، ١٩٢٨: ١٨-٢٠).

٤- ٣. عند العرب: قام العرب بدراسة لغتهم لسبب أساسي ديني، يتمثل في المحافظة على لغة القرآن لصحة تلاوته و استخلاص الأحكام و التشريعات منه. و كان للخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة الآيات بشكل غير صحيح أكبر الأثر في النهوض بهذه الدراسة، لذلك كانت أوائل الأعمال اللغوية المتعلقة بالدلالة بشكل خاص ذات صلة بالقرآن الكريم مثل: معاني الغريب في القرآن الكريم و مجاز القرآن، بالإضافة إلى معاجم الموضوعات (المعاني). و معنى ذلك ضبط المصحف الشريف.

و قد تجلت أهم الأعمال الدلالية للدراسين العرب بما يلي:

- عمل ابن فارس في معجمه (المقاييس) بربط المعاني الجزئية بالمعنى العام.

اللغة. و في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة ردّ عدد من اللغويين مثل كاتز^١ و فودور^٢ الاعتبار إلى المعنى و أدرجا المكون الدلالي في التحليل بعد أن كان قد استبعد هذا المكون الذي يقوم بإعطاء تفسيرات دلالية للبنية العميقة. و تشومسكي^٣ الذي عرف بنظرية النحو التوليدي التحويلي، و الذي طوّر نظريته فظهرت في كتابه (البنى التركيبية) و عندما أخرج كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) كان يدعو إلى فصل النحو عن المعنى و لكنه عدل عن موقعه ربما بتأثير أولئك اللسانيين، فأدرج القواعد الدلالية في نموذجه المعياري عند الغربيين و كان على رأس من أسهم في وضع أسس هذه الدراسات ماكس مولر^٤ و ميشال بريال اللغوي الفرنسي الذي وضع بحثاً بعنوان مقالة في السيماتيك (essai de sémantique) عام ١٨٧٩، و قد اهتمت هذه المقالة بدلالة الألفاظ القديمة في اللغات الهندوأوروبية. و ربما كان من أبرز الأعمال في هذا السياق المؤلف الضخم بعنوان (لغتنا) للعالم السويدي أدولف نورين^٥ الذي خصص قسماً كبيراً لدراسة المعنى مستخدماً مصطلح (somology). حيث قسم دراسة المعنى إلى قسمين :

١- الدراسة الوظيفية.

٢- الدراسة الإيتمولوجية التي تعالج تطور المعنى التاريخي.

و قد تطورت الدراسة الدلالية حديثاً، عند الأوروبيين و ظهرت أسماء مهمة مثل : أوجدن^٦ و ريتشارد^٧ اللذين أخرجوا مؤلفهما الشهير الذي عنوانه (the meaning of meaning) أي معنى المعنى عام ١٩٢٣ حيث وضعاً

نظرية للعلامات و الرموز. و في الدراسات الأمريكية يمكن أن نذكر أسماء مثل: بلومفيلد^٨ الذي يقال إنه و أتباعه أرادوا إخراج دراسة المعنى من مستويات الدراسة اللغوية، و أن دراسة (السيمانتيك) — في رأيهم — تقع خارج المجال الواقعي للغة، أو هي على الأقل أضعف نقطة في الدراسة اللغوية، مما أدى إلى إهمال المعنى. و إن كانت تفسيرات أقوال بلومفيلد لا تعبر بدقة عما أراد. و ربما لم يرد الاعتبار لدراسة المعنى (الدلالة) في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين و خاصة في الاتجاه التوليدي عند تشومسكي. و من المؤلفين العرب الذين اهتموا بعلم الدلالة في العصر الحديث الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) حيث عالج في هذا الكتاب عدة قضايا منها ارتباط الألفاظ بمدلولاتها، أقسام الدلالة، العلاقة بين اللفظ و المعنى، اكتساب الدلالة عند الطفل و الكبار و التطور الدلالي. (انظر: مختار عمر، ١٩٢٨: ٣٠-٣٠٠، أنيس، ١٩٧٢: ٧-١٢، سهران، ١٩٩٧: ٢٩١-٣٠٠، عمران، ٢٠٠٧: ١٦-١٨).

٥- مظاهر من دراسة المعنى في التراث العربي و الإسلامي

يمكن القول أن العناية بالدلالة في الفكر اللغوي العربي القديم حقيقة ثابتة، و الجهود في ذلك كبيرة و عميقة لا مجال لإنكارها، و فضل سبق علمائها راسخ، بل إنهم أول من وضع أسس علم الدلالة الذي يعدّ أصيلاً في التراث العربي و الإسلامي، و أثرى بسعته و عمقه و دقته علم الدلالة الحديث إثراءً كبيراً، و قد أسّس من خلاله الدارسون أصول هذا العلم، على الرغم من أننا لا نعثر على مصدر مستقل خاص يحمل عنوان "علم الدلالة"، و

8. Leonard Bloomfield

1. Katz
2. Fodor
3. Noam Chomsky
4. Max Muller
5. Adolf Noreen
6. C.K.Ogden
7. I.A.Richards

لكن الأعمال المبكرة تشهد عليه، وإن كانت السمة الرئيسية للبحث الدلالي هي التشعب و عدم الإنتظام في نسق معرفي واحد، كونها متناثرة في أكثر من مصدر، و مبنوثة في أكثر من مجال معرفي محدّد. و المتمعن في التراث اللغوي العربي يلاحظ أنّ البحث الدلالي لم يقتصر على اللغويين فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الفقهاء و أهل الشرع و علماء الكلام، و الفلاسفة و المناطق و غيرهم من دارسي الإعجاز و البلاغة و النقد و الشرح الأدبي و الفني، و أغنوا مؤلفاتهم بالبحوث الدلالية التي لا يجهلها دارس العربية.

و أوّل ما أُلّف في العربية فيما يتعلق بالدلالة، هي تلك الرسائل التي جمع فيها رواة اللغة ألفاظاً ذات موضوعات دلالية شبيهة بالحقول الدلالية المعروفة في اللسانيات الحديثة، كرسائل الإبل و الخيل و الشجر و النبات و الأنواء، و ليس هذا العمل إلّا تصنيفاً للغة، كان نضجاً مبكراً و بداية انتهت إلى التّأليف المعجمي الشامل و صلته بالأصوات و الإشتقاق إلى المعاجم الكبرى التي رتبت على أساس معاني الألفاظ مثل «الألفاظ الكتابية» للهمداني (ت ٣٩٨هـ)، و «متخير الألفاظ»، و «مقاييس اللغة» لأحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) و فقه اللغة و أسرار العربية" للثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، و «المخصّص» لابن سيدة (ت ٤٨٥هـ)، و معاجم الألفاظ كالصّحاح للجوهري (ت ٣٩٥هـ)، و "تهذيب اللغة" للأزهري (ت ٣٧٠هـ).

وقد لاحظ اللغويون من العرب القدامى اختلاف لهجات القبائل المؤدي إلى الاختلاف اللفظي و ما يتبعه من اختلاف معنوي، فممن أُلّف في لغات القبائل هو يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، و أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، و الفراء (ت ٢٠٧هـ)، و قد ميّزوا الصحيح من الدخيل أو المعرّب، و كان ممن أُلّف فيه الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، و الخفاجي (١٠٦٩هـ)، حيث

درسوا مسائل الترادف و الأضداد و المشترك، و أُلّفوا فيها كتباً، و عاجلوا العلاقة بين الدال و المدلول، و الحقيقة و المجاز و المهمل و المستعمل و العام و الخاص (قدور، ١٩٩٦: ١٩٠). و كتبوا عن المجاز في القرآن و معاني الغريب فيه، و أُلّفوا في الوجوه و النظائر في القرآن، و غير ذلك من الأمثلة التي تنتمي إلى المباحث الدلالية و تعتبر جميعها بدايات للتأليف المعجمي عند العرب.

و مقارنة لماهية الدلالة و حقوقها الدراسية في التراث العربي و الإسلامي، نتطرق إلى البحث الدلالي عند لفيف من علماء الدلالة و ذلك بقصد رسم إطار بيّن تتضح من خلاله معالم الدرس الدلالي القديم و منهم:

٥ - ١ - الخليل بن أحمد الفراهيدي

لا شك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ) قد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه الأصيل (العين) حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي، الحرفي، و من ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، و أخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتشكّل الألفاظ بداية و نهاية طرداً و عكساً، و من ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة و المهمل. و قد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب دون الخوض في التفصيلات المضنية للبحث الدلالي كما يفهم في لغة التحديث، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية، و لكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو غير قصد، و هو إلى القصد أقرب و به أُلصق لما تميز به الخليل من عبقرية و لما اتسمت به بحوثه من أصالة و ابتكار. و قد أفاد من ذلك سبويه كثيراً كما يتضح من استقراء الكتاب.

٥-٢- سيبويه

إن لفظة سيبويه (ت: ١٨٠ هـ) في باب الإستقامة من الكلام والإحالة، يدعم فكرة اهتمام النحو العربي بالظواهر الدلالية، فهو يقول: «فمنه (الكلام) مستقيم حسن، و محال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب. فالمستقيم الحسن: هو الترتيب أو التعبير المألوف في اللغة نحو: "أتيتك أمس، سأتيك غداً". المحال: و هو المتناقض في الإستعمال أو نقض أول الكلام بآخره، نحو: أتيتك غداً، سأتيك أمس. المستقيم الكذب، و هو تركيب مستقيم من حيث النحو و غير ممكن الوقوع في نحو: حملت الجبل و شربت ماء البحر. المستقيم القبيح: و هو وضع اللفظ في غير موضعه على الرغم من استقامته نحو: و كي زيد يأتيك، و قد زيداً رأيت. المحال الكذب: و هو ما لا يتوافق مع الواقع، و الخروج عن منطق اللغة نحو: سوف أشرب ماء البحر أمس» (سيبويه، ١٩٩٨: ٢٥/١). إن استقامة الجملة في جميع عناصرها عند سيبويه لا تختلف عما يسميه المحدثون بأصولية الجملة و مقبوليتها في نظرية النحو التوليدي التحويلي الذي رائده نوام شومسكي، و عدم استقامة الجملة معناه أنَّها صحيحة قواعدياً و نحويّاً و لكنها غير صحيحة دلاليّاً.

٥-٣- أبو عثمان الجاحظ

و هذا أبو عثمان الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ) أول من فتح أبواب البيان. فقد استعمل الجاحظ كلمة البيان بمعنى الإيصال الدلالي العام الذي يشتمل على الإيصال اللغوي و غيره. أو بتعبير دي سوسور الاشارات في مفهومها العام، و تعد اللغة جزءاً منها. و هذا تنبه من الجاحظ لأحد المعايير الأساسية للمنهج الوصفي الحديث (زوين، ١٩٨٦: ١٣٩). أبان الجاحظ عن مكان اللغة العربية الجمالية، آخذاً في

ذلك جمع الصور اللفظية و غير اللفظية التي تحتضن الفكر و تعبر عن الدلالات و المعاني المختلفة. كما عكف على الدراسة الصوتية للحرف و اللفظ لكون ذلك يفضي إلى استقامة البيان و حصول الإبلاغ، بحيث يراعي فيه حسن التأليف بين الحرف و الكلمة، و قد أشار الجاحظ في هذا المجال إلى تلك الأمراض النطقية التي تؤدي إلى اختلال في آلة التعبير خاصة في مخارج الأصوات و عدّ منها الكثير (انظر: جاحظ، ١٩٨٨: ٢٧/١). و قد أضحى ذلك في العصر الحديث فرعاً من اللسانيات و التمس له العلماء أسباباً فوجدها عصبية نفسية تؤدي إلى اضطراب أساسي في بني اللغة و أطلقوا على ذلك المبحث العصب السني^١. تناول الجاحظ في كتابه: «البيان و التبيين» و كتاب «الحيوان» مباحث لها ارتباط وثيق بموضوع الدلالة و علاقتها بطرق تأديتها، فقد قسم العلاقة إلى أصناف، كما وقف على وظائف الكلام، لأنه جوهر البيان و في إطاره تناول الدلالة السياقية، و اختيار المكان و المقام الملائمين لموقع اللفظ و المعنى، كما خاض الجاحظ في الجدل الذي دار حول نشأة اللغة، أتوفيقية هي أم اصطلاحية توفيقية؟...

و هو حينما يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام و هي حالة بلاغية، إنما يتحدث عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم لا يتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي فيقول: «ينبغي للمتلكم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين، و بين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» (المصدر السابق: ٨١/١) و هو بهذا يريد أن يتحدث عن الدلالة في أبعادها المخصصة لها فلا تتعدى حدودها و لا تتجاوز مفهومها، و إن ربط بينها و بين عقلية المتلقي في

1. Neurolinguistique

مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون، أو مطابقة الكلام لمناسبة المقام. فالمعاني إذن تصنف و ترتب بحسب أصناف الناس في المجتمع و تباين مقاماتهم و أحوالهم. و تلك رؤية علمية في غاية الدقة لطبيعة و جوهر العملية البلاغية التي تراعى فيها الشروط الموضوعية (الخارجية) و الشروط الذاتية التي يتصف بها الخطاب و صاحبه و هو ما تنادي به بعض المدارس اللسانية الحديثة التي تدعو إلى ضرورة الإحاطة بوضع المتلقي النفسي و الاجتماعي حتى لا يقع المعنى في انسداده دلالي. و تلك إشارة إلى وجوب التوفيق عند المتكلم بين خطابه و مقام المستمع (المتلقي)، و يعني ذلك أن المتكلم كان قد قام بمطابقات تركيبية تشمل المطابقة النحوية (التأليف على سمت كلام العرب)، و المطابقة البلاغية (معرفية الفصل من الوصل) فضلاً عن المطابقة بين اللفظ و المعنى و حسن موقع الكلمة من السياق، و هو ما تشير إليه نظرية الوقوع أو الرصف^١، و هو الارتباط الإعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. ثم إن عرض الجاحظ لموضوع التنافر الحادث بين الكلمات يقدم التقدير الكافي لمنع الوقوع أو الرصف في بعض السياقات، و قد أكدت دراسات دلالية تالية في النظرية السياقية، أن الجملة لا تعتبر كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، و راعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة و تقبل أبناء اللغة لها، بحيث يعطونها تفسيراً ملائماً و هو ما سمي باسم التقبيلية^٢ (عبد الجليل، ٢٠٠١: ١٢٩).

من أوائل القضايا المرتبطة بدراسة المعنى عند النقاد اختلافهم في المفاضلة بين اللفظ و المعنى. حيث ذهبوا في هذه المسألة إلى مذهبين، أحدهما أثر اللفظ على المعنى و الآخر أثر المعنى على اللفظ. و كانت الغلبة لأصحاب

اللفظ. و قد سبق الجاحظ النقاد في بيان هذه المفاضلة و كان يذهب - في الغالب - إلى تفضيل اللفظ على المعنى. لأن المعاني - في رأيه - غير متناهية و الألفاظ متناهية، لذلك اختلف حكمهما. قال: «إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية، و ممتدة إلى غير نهاية، و أسماء المعاني مقصورة معدودة، و محصلة محدودة» (جاحظ، ١٩٨٨: ٨١/١).

بحث الجاحظ فيما يمكن أن نسميه (بالدلالة العامة) أو (الإشارات و الرموز). و نقصد بها دلالة الأشياء على الماهيات و الأفكار بطرق مختلفة، من ضمنها الطرق اللغوية بالمعنى التقليدي لهذه العبارة. و يؤلف علم الإشارات^٣ جزءاً مهماً من الدراسات الدلالية الحديثة. لعل الجاحظ أول من تنبه إلى أهمية العلامة و الإشارة في إيصال المعنى، و أن الدلالة لا تقتصر فقط على اللفظ و اللغة بمعناها المدرسي التقليدي. لذلك قسم أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غيره إلى خمسة أقسام: اللفظ - الإشارة - العقد - الخط - النصب. يعني باللفظ: الكلام المنطوق، و بالإشارة: الحركة باليد أو بالعين و نحوهما مما يدل على معنى، و بالعقد: ضرباً من الحساب يكون بإصابع اليدين، و بالخط: الكلام المكتوب. (زوين، ١٩٨٦: ١٤٢-١٤٣). نلاحظ هنا تفرقاً واضحاً بين الكلام و الخط أو بين الكلام و اللغة في مفهوم دي سوسير و المدرسة الوصفية التركيبية.

لقد أوضح الجاحظ أيضاً وظائف الكلام في معرض حديثه عن البيان. يقول: «لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه و لا حاجة أخيه و خليطه و لا معنى شريكه المعاون له على أموره و على ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، و إنما يحیی تلك المعاني ذكرهم لها و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها» (جاحظ، ١٩٨٨: ٨١/١). و ذلك أن المعاني كامنة

1. Collocational Theory
2. Acceptability

3. sign and signal

مسترة لا يمكن أن يعلمها (الآخر) إلا إذا تظاهرت في أنماط مقولية بما يطلع على ما في ضمير مخاطبه، و لا يتعد الإتصال الإعلامي بينهما حتى يفصح أحدهما عما في نفسه من الحاجات للآخر، فكأن تلك المعاني كانت مية فأحييت بالذكر و الإخبار و الإستعمال، و هذا ما يكاد (جاكسون)^١ يعنيه من الوظيفتين المرجعية^٢ و التعبيرية أو الإنفعالية^٣ إذ الأولى تعني التخاطب بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين و تبادل الآراء معهم، أما الثانية فهي تتمحور حول إبراز موقف المتكلم - خاصة - من مختلف القضايا حول موضوع حديثه (زكريا، ١٩٨٣: ٥٤).

٥-٤- أبو الفتح، عثمان بن جني

و أبو الفتح، عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ) يعود بدلالة الألفاظ عند اختراعها و ابتكارها و موضعها إلى أصول حسية باديء ذي بدء، يقول: «و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، و حنين الرعد، و خرير الماء، و شحيج الحمار، و نعيق الغراب، و صهيل الفرس، و نزيب الظي، و نحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. و هذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل» (ابن جني، ١٩٥٥: ٤٦/١). و أوضح ابن جني في باب سماه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني» أن بين الأصوات و ما تعبّر عنه مناسبة دلالية. حيث قال: «قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجنذب استطالة و مدّاً، فقالوا: صرّ، و توهّموا في صوت البازي تقطيعاً، فقالوا: صرصر» (المصدر السابق: ١٥٢/٢). إذ التأليف الصوري للفظ يرسم القيمة الدلالية

1. R.Jackobson.
2. Referentielle
3. Emotive

للمعنى الذي يقابله و إن كان من الصعب تطبيق ذلك كل عناصر النظام اللغوي إلا أن ذلك يبقى طرْحاً جريئاً من قبل ابن جني له قيمته العلمية و سبقه المعرفي في عصره، و هي محاولات كانت تنتظر من يعطيها طابع النظرية الشاملة بعد ابن جني، و لكن وجد أتباع لم يكملوا ما بدأه أبو الفتح ابن جني و إنما انتحلوا بحوثه و نسبوها إلى أنفسهم كابن سيده صاحب كتاب «الحكم» المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (عبد الجليل، ٢٠٠١: ١٣١).

و في المجال نفسه نجد يتلمس المناسبة بين كلمتي المسك و الصوار (ابن جني، ١٩٥٥: ٥٠٧/١) و يستمر في المنظور التطبيقي لدلالة الألفاظ فيستنبط العلاقة الدلالية لمادة (جبر) بكل تفرعاتها المتناثرة كالجبر و الجبروت و الحرب، و الجراب. فيجد في قوتها و صلابتها و قسوتها و شدتها معنى عاماً مشتركاً بين مفرداتها تجمعها القوة و الصلابة و التماسك (المصدر السابق: ٥٢٥/١). و لا يكفي بذلك حتى يعقد في كتابه المذكور فصلاً بعنوان (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و باباً آخر لمناسبة الألفاظ للمعاني، و قال عنه «فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، و نهج مثلث عند عارفه مأموم، و ذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها، و يحتذونها عليها، و ذلك أكثر مما نقدّره، و أضعاف ما نستشعره، و من ذلك قولهم خضم و قضم، فالخضم لأكل الرطب ... و القضم لأكل اليابس» (المصدر نفسه: ٦٥/١). و رأى أن معاني الأصوات القويّة تنتظم للتعبير عما يناسبها من دلالات، و الأصوات الضعيفة لما يتفق معها من ذلك قولهم: «الوسيلة» و «الوصيلة»، و الصاد - كما ترى - أقوى صوتاً من السين، لما فيها من استعلاء، و الوصلة أقوى معنى من الوسيلة، و ذلك أن التوسل

ليست عصمة الوصل و الصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، و مماسته له، و كونه في أكثر الأحوال بعضاً له كاتصال الأعضاء بالإنسان، و هي أبعاضه، و نحو ذلك، و التوصل معنى يضعف و يصغر أن يكون المتوصل جزءاً كالجزم من المتوصل إليه، و هذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها، للمعنى الأقوى و السين لضعفها للمعنى الأضعف (المصدر نفسه: ١٦٠/٢).

و تظن ابن جني إلى أثر الصيغة في توليد الدلالة، و وضع قاعدة لذلك مفادها أن الزيادة في المبني تلحقها بالضرورة زيادة في المعنى، و من ذلك قولهم: حَشِنَ، اَحْشَوْشَنَ، فمعنى حشن دون معنى اَحْشَوْشَنَ لما فيه من تكرير العين، و زيادة الواو، و كذلك قولهم أعشب المكان إذا نبت فيه العشب، أما إذا كثر فيه العشب فقد قالوا اعشوشب، و صيغة افعوعل تفيد المبالغة (المصدر نفسه: ١٥٦/٢). و اكتشف أن التكرار الواقع في الفعل يعود إلى تكرار معناه مثل قطع، و كسر، و فتح، و غلق، كما أن المصادر التي تأتي على وزن فَعْلان تدل على الاضطراب و الحركة مثل العَلَيان و العَثَيان (المصدر نفسه: ١٥٢/٢). و ما اشتهر به صاحب الخصائص هو إبراز لظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، و هو ما سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» و سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليًا لتقاربهما فنولوجيًا و تلك خاصية من خصائص اللغة العربية. و هذه الملاحظة تنم عن دقة و عمق رؤية ابن جني لنظام اللغة ففي شرحه للفظ «أزاً» الوارد ذكره في قوله تعالى: «ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً» (مریم/٨٣) يقول ابن جني في قوله تعالى: «تأزهم أزاً»: أي ترعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزمهم هزاً و الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان

لتقارب المعنيين، و كأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، و هذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجدع و ساق الشجرة، و نحو ذلك (ابن جني، ١٩٥٥: ١٤٦/٢).

٥-٥- أحمد بن فارس

أما أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) فيعد بحق صاحب نظرية في دلالة الألفاظ، فكتابه مقاييس اللغة يعني بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ و المعاني في أكثر من وجه، و يشير إلى تقلبات الجذور في الدلالة على المعاني، و يستوحي الوجوه المشتركة في معاني جملة من الألفاظ. و كتابه: «الصاحي في فقه اللغة» ينطلق إلى الدلالة معه فيشير إلى مرجعها، و يحددها في ثلاثة محاور هي: المعنى، و التفسير، و التأويل. و هي و إن اختلفت فإن المقاصد منها متقاربة (ابن فارس، ١٩٦٤: ١٩٣) و يشير بأصالة إلى دلالة المعاني في الأسماء باعتبارها سمات و علامات دالة على المسميات، (المصدر السابق: ٨٨) و يتابع ابن فارس بتمرس عملية تنوع الدلالات و أقسامها بالشكل الذي حدده المنطقة فيما بعد و تسالموا عليه (المصدر نفسه: ٩٨). و الجدير بالذكر أن ابن فارس يبحث بكل يسر و بساطة دلالة تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة كالسيف و المهند و الحسام و ما يليها من الألقاب، و يقرر مذهبه: أن معنى كل صفة من هذه الصفات غير معنى الأخرى، و كذلك الحال بالنسبة للأفعال فيما يتوهم من دلالتها على مدلول واحد و هو مختلف عنده نحو: مضى، ذهب، انطلق، قعد، جلس و كذلك القول فيما سواه، و بهذا نقول: و من سنن العرب في المتضادين باسم واحد أن يقولوا: الجون للأسود و الجون للأبيض ... ثم يعقب ذلك بدلالة الاسم الواحد للأشياء المختلفة، و يعقد له باباً باسم (أجناس

الكلام في الإتفاق و الإفتراق)، و يضرب أمثلة لكل ذلك، و يخرج عن هذا بالأسماء المختلفة للشيء الواحد (المصدر نفسه: ٢٠١).

٥-٦- ابن سينا

و أما ابن سينا (٣٧٣-٤٢٧ هـ) فقد شرح العملية الدلالية اللغوية على نحو يثير الفضول العلمي المعاصر؛ ذلك أنه وقف على دقائق الأبعاد النفسية اعتماداً على درايته بعلم النفس، و براعته في التحليل العقلي المقترن بالترعة التشريحية، فقد كان فيلسوف و طبيب في آن معاً. (داية، ١٩٩٦: ١٣) فهو يكثر من ذكر الوجود الذهني للعلامات اللغوية و ارتسامها في النفس و الخيال في رصده لمراحل العملية الدلالية، حيث يتم نقل المفاهيم المودعة في الذهن لمدلولات في العالم الخارجي إلى أدوات دالة كالألفاظ و الكتابة، و بما أن اللفظ اللغوي يعدّ أساس العملية الدلالية أقام له ابن سينا تقسيماً بحسب الأفراد و التركيب و التأليف، و بحسب الكلي و الجزئي، ثم أبان عن اللفظ الخاص و اللفظ المشترك و الجامع بين الصفتين، أما الدلالة فقد صنفها ابن سينا إلى أصناف لم تخرج عن تلك التي كانت متداولة بين معاصريه من العلماء و من سبقه من الفلاسفة كالفارابي (عبد الجليل: ٢٠٠١: ١٣٩).

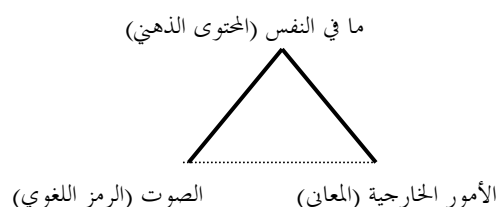
تناول ابن سينا تعيين العلاقة بين اللفظ و المعنى، من جوانب ثلاثة: دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الإلتزام، فإذا كان الإنتقال بواسطة العقل من الدال إلى مدلوله، لعلمه بعلاقة الوضع و أنه كلما تحقق مسموع اسم ارتسم في الخيال مدلوله، فإن الدلالة عندئذ دلالة وضعية تمتع من وقوع الإلتباس بين الدلالات الثلاث، لأنه قد يطلق اللفظ و لا يعنى به مدلوله المطابق له كما إذا أطلقنا لفظ "الشمس" و عنينا به "الجرم" كانت الدلالة بينهما مطابقة و

إذا عنينا به "الضوء" كانت العلاقة بينهما تضمن. و لكن بتدخل الوضع و توسط العرف الأصلي يمتنع انتقاض الدلالات بعضها ببعض. و يورد ابن سينا أمثلة يوضح فيها كل قسم من أقسام الدلالة الثلاث فدلالة المطابقة هي التوافق الحاصل بين اللفظ و ما يدل عليه كالإنسان فإنه يدل على الحيوان الناطق، أما دلالة التضمن فهو ما يتضمنه اللفظ من معان جزئية تدخل في ماهيته كقولهم الإنسان، فإنه يتضمن الحيوان. أما دلالة الإلتزام فهي تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة بين الدال و لازمه، فقولنا الأب يلتزم الإبن يقول ابن سينا معرّفاً ذلك: أصناف دلالة اللفظ على المعنى ثلاثة: دلالة المطابقة و دلالة التضمن و دلالة الإلتزام. و هي دلالات تجمع الأنساق كلّها. و يشرح علاقة الإلتزام فيقول: و دلالة الإلتزام مثل دلالة المخلوق على الخلق، و الأب على الإبن، و السقف على الحائط، و الإنسان على الضاحك، و ذلك أن يدل أولاً دلالة المطابقة على المعنى الذي يدل عليه أولاً، و يصحب ذلك المعنى معنى آخر، فينتقل الذهن أيضاً إلى ذلك المعنى الثاني الذي يوافق المعنى الأول و يصحبه. و تشترك دلالة المطابقة و دلالة التضمن في أن كل منهما ليس دلالة على أمر خارج عن الآخر. و ينصّ ابن سينا هاهنا على أمر مهم يخصّ العلاقة بين دلالة المطابقة و دلالة الإلتزام إذ الوصول إلى دلالة اللفظ على معناه بطريق الإلتزام يمرّ عبر إجراء دلالة المطابقة بين اللفظ و ما يطابقه من مدلولات بتوسط الذهن الذي ينجز هاتين المرحلتين (بشكل سريع جداً)، فدلالة الأب على الإبن دلالة التزام و لكن هذه الدلالة لم تنعقد حتى وجد العقل أن بين الأب و مدلوله (أنه والد له أبناء) علاقة مطابقة، ثم تختلف دلالة الإلتزام عن دلالتيّ التضمن و المطابقة في أنها تستدعي مدلولاً خارجاً عن اللفظ، أما دلالتا التضمن و المطابقة فإنهما تستدعيان مدلولهما من لفظيهما. لأن دلالة

الذهنية في الذاكرة فكلما تحقق مسموع صوت ارتسمت في الخيال صورته. (المصدر السابق: ١٤٤-١٤٥)

إن أهمية مباحث ابن سينا في الدلالة لا تكمن في عمق تصورهما لجوهر الفعل الدلالي فحسب، وإنما في بعدها الشمولي للسان البشري، وهو هدف يعكف عليه علماء الدلالة المحدثين وعلى رأسهم (نوام تشومسكي) في بحثه عن القواسم المشتركة بين اللغات عندما يحاول وضع قواعد أو نحو كلي^٢ ينظم اللسان البشري. إن ما يجمع بين اللغات هو اشتراكها في التصورات الذهنية اشتراكاً عاماً أما ما يفرقها فهي الأنساق الدلالية و كيفية تحقيقها في واقع اللغة، مع أن العالم الدلالي واحد في كل اللغات، يعني ذلك - حسب رؤية تشومسكي - أن البنية العميقة مشتركة بين جميع اللغات أما الاختلاف فيكمن في البنية السطحية، و دليله في ذلك أن الطفل في طور تعرفه الأول على الأشياء المحيطة به تتحكم في منطقة البنية العميقة أو الكفاية اللغوية و هذا ما يفسر اشتراك الأطفال من مختلف الأجناس في ترميزهم للمدلولات في العالم الخارجي، و للتعبير عن أحوالهم السيكلوجية يقول ابن سينا شارحاً ذلك: و أما دلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا يختلف الدال و لا المدلول عليه، كما في الدلالة بين اللفظ و الأثر النفساني، فإن المدلول عليه و إن كان غير مختلف، فإن الدال مختلف و ليس كما في الدلالة بين اللفظ و الكتابة، فإن الدال و المدلول عليه قد يختلفان. ثم إن الصورة السمعية^٣ هي التي تعكس مفهوم المدلول في النفس فيكون المعنى، و يرتسم في الذهن ضمن الذاكرة اللغوية ارتباط اللفظ بمعناه، فكلما تم ارتسام مسموع الإسم في الخيال توارد إلى النفس معناه، و ذلك تأكيد على ما سجلناه عند

اللفظ على كل أجزائه هي دلالة مطابقة، أما علاقته بجزء من هذه الأجزاء فهي علاقة تضمن، و لذلك نجد ابن سينا لا يقيد في حصره للعلاقة القائمة نظرياً بين اللفظ و المعنى، فيقول في ذلك: و لأن بين اللفظ و المعنى علاقة ما. ثم لتعيين العلاقة بين الدال و المدلول يستدعي إدراك العلاقة بين المدلول و الشيء الخارجي و ذلك ما أشارت إليه المباحث اللسانية الحديثة التي أكدت أن لا علاقة مباشرة بين الدال و المدلول و إنما العلاقة الحقيقية هي بين الرمز اللغوي و محتواه الذهني^١، إلا أن وعي الإنسان اعتاد على ربط الدال بالشيء الخارجي ربطاً مباشراً دون وعي بالاحتوى الذهني في العلاقة الدلالية بين الدال و المدلول، و لذلك يرى ابن سينا أن العلاقة الدلالية تنعقد بين المعنى (المدلول) و الشيء في العالم الخارجي تأكيداً أن لا علاقة مباشرة بين الدال و المدلول يقول موضحاً ذلك: "فما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس و هي التي تسمى آثاراً، و التي في النفس تدل على الأمور و هي التي تسمى معاني. و يمكن توضيح ذلك بالمثلث التالي:



و لا تكفي المقارنة لنقارب مثلث ابن سينا الدلالي بمثلث ريشتردز و أوجدن، بل إن ابن سينا كان أعمق في إدراك جوهر الدلالة من المحدثين، فسمى الرمز اللغوي (صوتاً) و ذلك إشارة كذلك إلى الرمز غير اللغوي، فما كل صوت لفظ لغوي. ثم سمي ما في النفس آثاراً و ذلك لأن ارتسام صورة الرمز في النفس يشكل آثاراً تتحول إلى تراكمات للمعاني

2. Universal Grammar
3. Image Acoustique

1. Concept

ابن سينا من أن العلاقة الحقيقية الدلالية هي بين الدال و الصورة و الذهنية، يقول ابن سينا مبرزاً ذلك: «فمعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه» (المصدر نفسه: ١٤٥-١٤٦).

٥-٧- عبد القاهر الجرجاني

و إذا نظرنا إلى أبحاث عبد القاهر الجرجاني الدلالية (ت: ٤٧١هـ) وجدناها مخططاً عملياً للموضوع، فهو حينما يتكلم عن الدلالة من خلال نظرية النظم لديه، فإنما يتكلم عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، يقول عبد القاهر: «وجب أن يعلم أن مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى أو عدمه، و لكن الحكم بوجود المعنى أو عدمه» (الجرجاني، ١٩٨٣: ٢٣٤). لقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم القائمة على حسن الصياغة و توخي معاني النحو، و التي تنظر إلى العلاقة التي تنشأ بين اللفظ و المعنى من وجهة لغوية دقيقة نتيجة التحامها و شدة ارتباطها. حيث نظر إليهما نظرة المتفحص العارف بمقادير الكلام، لذلك عرف قيمة اللفظ في النظم، و عرف طريقة تصوير المعاني على حقيقتها، ثم جمع بين اللفظ و المعنى، و سوى بين خصائصهما، و رأى اللفظ جسداً و المعنى روحاً يعتمد على حسن الصياغة و دقة التصوير التي نضجت في بحوثه، و بهذه الطريقة انتهى من فكرة الفصل بين اللفظ و المعنى.

وقف عبد القاهر من مسألة اللفظ و المعنى موقفاً متريثاً ظاهره إثار المعنى على اللفظ. قال في كلامه على التجنيس: ...و ذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الإلفاظ خدم المعاني و المصرفة في حكمها، و كانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ

على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته و أحاله عن طبيعته، و ذلك مظنة من الاستكراه و فيه فتح أبواب العيب و التعرض للشين... (زوين، ١٩٨٦: ١٦٠).

و الدلالة على المعنى عند عبد القاهر على ضربين: دلالة مباشرة، و دلالة غير مباشرة، و هو تقسيم يتفق مع تقسيم بعض نقاد المعنى و ذلك تقسيم المعاني إلى معانٍ أول و ثوان. جعل عبد القاهر مدار الدلالة الثانية على الكناية و الإستعارة و المجاز. و هي أساليب للإفصاح عن المعاني الثواني. و تأثر - في تقسيمه هذا- بمقولة (الوضع) عند الأصوليين. و فرق بموجب هذا الاعتبار بين (المعنى) و (معنى المعنى)؛ فالمعنى: هو المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة، و معنى المعنى: هو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر (المصدر السابق: ١٦١). و يكفي الجرجاني بما قدّمه من جهود أنه أثار قضية البحث في معنى المعنى، و هي قضية أحدث بها العالمان ريتشاردز و أوجدن ضجة بإصدار كتابيهما: «معنى المعنى» (The meaning of meaning) ١٩٢٣ و فيه يتساءل العالمان ليس عن تطور المعنى كما كان سائداً آنذاك في الدرس اللساني التاريخي، و إنما عن ماهية المعنى (ابو ناضر، ١٩٨٢: ٣١).

إن كثيراً من المحدثين يعتبرون اتجاه الجرجاني قمة الجهود البلاغية العربية في ميدان البحث الدلالي، فدراسته للنظم و ما يتصل به تقف بشموخ أمام النظريات اللغوية في الغرب، بل تفوق معظمها في مجال فهم التركيب اللغوي، مع الفارق الزمني الواسع الذي يعد ميزة يختلف بها عبد القاهر عن غيره و يعود إليه فضل سبق، و اعترف له علماء كثيرون بأرائه الذكية و بخاصة في الجزء الذي يتناول المعنى النحوي و الدلالي من كتابه «دلائل الإعجاز». و يمكن استخلاص الملامح الرئيسة لنظرية عبد القاهر

إن المقام و محدودية الدراسة، لا تسمح لنا أن نفيض في المباحث اللغوية و الدلالية التي أثارها عبد القاهر الجرجاني، و لو استرسلنا في عرض عطاءات الجرجاني اللسانية و الدلالية لضاق بنا المجال و لأحتاج ذلك لدراسة مستقلة، تحاول أن تقارب بين ما أبدعه الجرجاني و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٥- ٨- حازم القرطاجني

و هذا حازم القرطاجني (ت: ٦٨٤ هـ) بكثرة إضاءته و تنويره في منهاج البلغاء، نجده يؤكد الحقائق الدلالية السابقة لعصره، و عنده أهما من المسلمات، حتى أنه ليقارن بين دلالة المعاني و الألفاظ و يعبر عنهما بصورة ذهنية، و هو إنما يبحث في ذلك من أجل أن يتفرغ لإتمام اللفظ بالمعنى و إتمام المعنى باللفظ، في تصور جملي متتابع، فيقول: «إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن و أنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أذهان السامعين و أذهانهم» (حازم القرطاجني، ١٩٦٦: ١٨). فهو يرى تشخيص اللفظ للصورة الذهنية عند إدراكها بما يحقق الدلالة المركزية التي يتعارف عليها باسم الإجماع اللغوي، أو العرف التبادري العام بما يسمى الآن الدلالة الاجتماعية، اللغوية، المركزية، و هي تسميات لمسمى واحد.

يفهم من تعريفه للمعاني و طرق المعرفة بأنحاء وجودها أن الربط بين الموجود و الصورة يتميز بشيئين: الأول: أنه ربط اعتباطي أي أن اللفظ الدال على هذا الارتباط في الذهن ليس مقصوداً لذاته، فالعلاقة بين الدال و المدلول اعتباطية. و هنا يقترب من المنهج الوصفي، و بالأحرى

الجرجاني الدلالية من النص الآتي: «و إذا قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، و على الوجوه و الفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، و نهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليس المزية بواجبة لها في أنفسها و من حيث هي على الإطلاق، و لكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض و استعمال بعضها مع بعض» (جرجاني، ١٩٨٣: ٦٩). يوضح هذا النص نظرة عبد القاهر الجرجاني للدلالة، و يحدد عناصرها الثلاثة التي تعدّ أساسية في مناقشة دلالة اللفظ و المعنى، و هي: الغرض الذي يوضع له الكلام، النظم الذي ينظم مواقع الكلمات، اللفظ الذي يحدد كيفية استعمال الكلمات بعضها مع بعض، و بمعنى آخر، (المعنى و الغرض) و (النظم) ثم (الشكل السطحي).

و لا ريب في أن مثل هذا العمل يعدّ كافياً للتدليل على مساهمة البلاغة العربية و اهتمامها بالظواهر الدلالية، و هي حقيقة ينبغي الاعتراف بها و الإنطلاق منها في كل دراسة منصفة و جادة. و كانت دراسة عبد القاهر للنظم و ما يتصل به من تعليق و بناء و ترتيب من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق و التركيب.

و قدّمت البلاغة العربية فكرتين من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي، و هما: المقال و المقام. و نجد علماء البلاغة ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعاراً يهتف به كل ناظر في المعنى: ١- العبارة الأولى «لكلّ مقال مقام». ٢- و الثانية «لكلّ كلمة مع صاحبها مقام». و تعتبر هاتان العبارتان من نتائج المغامرات الفكرية في «دراسة اللغة في الغرب المعاصر» (حسان، بلا تا: ٢٠- ٢١).

يقترب منه الوصفيون التركيبيون. الثاني: أن دلالة اللفظ على الارتباط الذهني (الشيء = الصورة) دلالة رمزية، و لذلك يفرق حازم بين دلالة الألفاظ على المعاني و دلالة الخط على الألفاظ. و الخط عبارة عن حروف أي الرموز (زوين، ١٩٨٦: ١٤٥-١٤٦).

المعنى عند حازم إما أن يكون وصفاً لحال الشيء، و إما أن يكون وصفاً لحال القائل. و تترتب عليهما معانٍ أخرى. و كأنه يشير إلى عناصر المقام في المعنى الذي يعد مركز علم الدلالة. قال: «... فقد تبين بهذا أن المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء التي فيها القول، و وصف أحوال القائلين أو المقول على ألسنتهم. و أن هذه المعاني تلتزم معانٍ أخرى تكون متعلقة بها و متلبسة بها، و هي كصفات مآخذ المعاني، و مواقعها من الوجود أو الغرض، أو غير ذلك؛ و نسب بعضها إلى بعض، و معطيات تحديداتها و تقديراتها، و معطيات الأحكام و الاعتقادات، و معطيات كصفات المخاطبة...» (حازم القرطاجي، ١٩٦٦: ١٤).

٥-٩- جلال الدين السيوطي

و نجد السيوطي (ت: ٩١١ هـ) و هو كثير النقل عن سبقيه، فكتاباته لا تعبر عن جهده الشخصي في الاستنتاج بل قد تعبر عن جهده الشخصي في الاختيار، و له في هذا الاختيار مذاهب و مذاهب، قد ينسب بعضها إلى أهلها و قد يحشر بعضها في جملة آرائه، و قد ينقلها نقلاً حرفياً، و لكنك تظنها له، و هو في هذا المجال كذلك. و إذا ما ألقى الدارس نظرة متفحصية على كتابه "المزهر في علوم اللغة" فإنه يجده ألبم بأهم المسائل المتعددة و المختلفة التي طرقها علماء العربية قبله، منها دلالة الألفاظ التي كانت تنصرف إلى درس خصائص العربية و تاريخها و فقهها، فـ "المزهر

في علم اللغة"، احتوى على ثلاثة عشر باباً في بحث اللغة من حيث المعنى، إضافة إلى ما احتوته الأبواب الأخرى من آراء دلالية متعددة.

و مما تناوله العلماء -أيضاً- نشأة اللغة و علاقة ألفاظها بمعانيها، و انقسموا في ذلك إلى فريقين، و دخلت هذه المسألة ضمن الخلاف بين الفئات الدينية و الفكرية، و أغلبهم لا يأخذ بالرأي القائل بالصلة الطبيعية الذاتية، و يعدّ عباد بن سليمان الصيمري - أحد المعتزلة - من أشهر العلماء الذين عرفوا به حيث يقول: "إن بين اللفظ و مدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، و إلاّ كان تخصيص الاسم المعين ترجيحاً من غير مرجح" (السيوطي، بلا تا: ٣٠/١).

و يمكن تلخيص المسائل الدلالية التي تداولها الدارسون و فقهاء اللغة كما أوردها السيوطي في أربعة آراء و هي:

١- أن الألفاظ تدلّ على المعاني بذواتها، و صاحب هذا الرأي هو عباد بن سليمان الصيمري.

٢- أو بوضع الله إياها، و القائل به أبو الحسن الأشعري و تلاميذه، و عليه جمهرة كبيرة من اللغويين.

٣- أو بوضع الناس، و هو رأي المعتزلة المستند إلى مفاهيم حول الذات الإلهية و نفى الجارحة عن الله عز و جلّ.

٤- أو يكون بعضها من وضع الله و الباقي من وضع الناس، و عليه علماء أصول الفقه الذين اختلفوا حول البداية، أهى من الله و التتمة من الناس أو العكس (٨/١ و مابعداها).

٦- خاتمة البحث

في تتمة هذا البحث نود أن نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها على شكل نقاط رئيسية:

١- إن ميشال بريال اللغوي الفرنسي يعتبر مؤسس علم الدلالة المتعارف عليه اليوم، و قد اقترن اهتمامه المتزايد بالأمر مع الناقد اللغويين الإنكليزيين أوجدن و ريتشاردز اللذين حوّلوا مسيرة الدلالة بكتاهما المشترك «معنى المعنى». و لكن تجدر الإشارة (كما بينت الدراسة) إلى أن كثيراً من معطيات الدرس الدلالي الحديث توصّل لها علماء العربية و الإسلام أثناء دراستهم للغة، مما جعلنا نقول أن علم الدلالة علم قديم تناولوه اللغويون من قبل، و حديث باعتبار أن أصوله و أسسه و منهج البحث فيه قد حددت في مطلع القرن العشرين حتى غداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان ظلاً يسير في كنف الدراسات اللغوية الأخرى. في الواقع إن هذه الجهود في التراث العربي و الإسلامي، و تلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى من الهنود و اليونان و اللاتين و علماء العصر الوسيط و عصر النهضة الأوروبية، فتحت كلها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث و أرسدت قواعد هامة في البحث الألسني و الدلالي، استفاد منها علماء اللغة المحدثون بحيث سعوا الى تشكيل هذا التراكم اللغوي في نط علمي يستند إلى مناهج و أصول و معايير، و هو ما تجسم في تقدم العالم الفرنسي ميشال بريال في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى وضع مصطلح يشرف من خلاله على البحث في الدلالة، و هذا المصطلح هو السيمانتيك. ثم قد حدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات القديمة في العصر الحديث، و اتخذت أبعاداً أخرجه من تلك الدراسة الأولية و وسعت مجال البحث فيها. إذن يمكن القول بأن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم، و بمناهج بحثه الخاصة و على أيدي لغويين متخصصين إنما تعد من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة.

٢- تم لنا إبانة الجهود المبكرة لعلماء الإسلام و العرب، و أصالة البحث الدلالي عندهم من خلال

الاستقراء التاريخي لآرائهم المتنوعة في الموضوع، و توصلنا معه إلى ما يلي:

- إن جهود العرب القدماء في مجال الدلالة تصبّ في مسارين كبيرين هما: المعجم العربي الذي بدأ برسائل ذات موضوعات دلالية هي أشبه ما تكون بالحقول الدلالية المعروفة حديثاً و قد حفل هذا الجانب بالكثير من مسائل الدلالة مثل: الحقيقة، المجاز، العام، الخاص، المشترك، التضاد و المترادف و نحو ذلك. و كانت معاجم المعاني ثمة لهذا التطور في التصنيف المعجمي. و ثمة مسائل دلالية أخرى عني بها علماء اللغة العربية و المعارف الإسلامية و درس هؤلاء العديد من تلك المسائل كالحديث في نشأة اللغة و دلالة ألفاظها و الكلام على أنواع اللغة من حيث المعنى، و بحثوا مصادر هذه المعاني المشتركة و المترادفة و المتضادة، و فطنوا إلى عمل الزمن في اكتساب الألفاظ لمعانيها الثانوية. كما درسوا العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى من حيث الأصوات و الأبنية الصرفية و شغلوا بدراسة الاشتقاق و أنواعه و توسّعوا فيه و ما إلى ذلك. فكان لهم فضل السبق في التنبيه على ما تعارف عليه المحدثون من أنواع الدلالات: الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية أو الاجتماعية، الدلالة السياقية و التمييز بين الدلالة المركزية و الدلالة الهامشية. إذن يمكن القول بأن وضع المنطلقات الأساسية لمباحث الدلالة يعتبر ابتكاراً و سبقاً علمياً من العلماء المسلمين دون سواهم من الأمم اللاحقة الثقافة بعدة قرون.

- إن الأبحاث الدلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لأنها مدينة للتداول بين المنطق و علوم المناظرة و أصول الفقه و التفسير و النقد الأدبي و البيان. هذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية و اللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي

١- دراسة الإسهامات الدلالية التي أثارها الجاحظ و التقارب بين ما أبدعه و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٢- دراسة الإسهامات الدلالية التي أثارها عبد القاهر الجرجاني و التقارب بين ما أبدعه و ما قررته الدراسات اللغوية الحديثة.

٣- نشأة نظرية الحقول الدلالية و تطورها في التراث العربي و الإسلامي.

٤- الحقول الدلالية و علاقتها بالمجاز.

فهرس المصادر

[١] ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٥) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي.

[٢] ابن فارس، أحمد (١٩٦٤) الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويهي، بيروت: المكتبة العربية.

[٣] ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٨٨) لسان العرب، تعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١.

[٤] أبو ناضر، موريث (١٩٨٢) مدخل إلى علم الدلالة، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ١٨ - ١٩.

[٥] أنيس، إبراهيم (١٩٧٢) دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣.

[٦] بشر، كمال (١٩٦٩) دراسات في علم اللغة: القسم الثاني، مصر: دار المعارف.

[٧] جاحظ، عمر بن بحر (١٩٨٨) البيان و التبيين، بيروت: دار مكتبة الهلال، ط ١.

[٨] الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر.

أرسى قواعد تعد الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدلالة و علم السيمياء على السواء، بل إننا لا نجد كبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث و بين العلماء العرب و المسلمين القدامى الذين ساهموا في تأسيس وعى دلالي هام، يمكن رصد في نتاج الفلاسفة و اللغويين و علماء الأصول و الفقهاء و الأدباء، فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، و هذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجاً أحرزته العربية و أصله الدارسون في جوانبها.

- إن المدرسة الدلالية لدى العلماء العرب و المسلمين لم تتأصل فجأة، و لم تتبلور معطياتها الجمالية بغتة، و إنما عركها الزمن في تطوره من خلال الأخذ و الرد، و تقلب أيدي العلماء الكبيرة على مصطلحها حتى عادت مختمرة الأبعاد. لذلك جدير بالذكر أن هذه البحوث تعدّ من صميم علم الدلالة و لا يمكن إغفالها حين التعرّض إلى مراحل تطورها سواء عند العرب أو عند غيرهم من الأمم. و أخيراً من أهم التوصيات هنا، حث الباحثين على دراسة التراث اللغوي الإسلامي الذي لا يستطيع أي جاحد أن ينكر مكانته و أثره على الأمم و الشعوب العربية و الغربية. و أن الإسهامات اللغوية للمفكرين المسلمين و العرب لم ينل البحث فيها ما يستحقه من عناية و اهتمام، فما زالت مجالات كثيرة في التراث الإسلامي اللغوي غير مطروقة و تحتاج إلى نظرة لغوية علمية واعية لذلك من الأفضل بأن يدرس الباحثون هذه الموضوعات في دراساتهم الآتية. كل واحد من هؤلاء المفكرين الذين ذكرت أسماءهم في هذه المقالة، يحتاج إلى دراسة مستقلة، و لكن المقام و محدودية الدراسة، لم يسمح لي أن أفيض في المباحث الدلالية التي أثارها هؤلاء المفكرون. لذلك أقترح هذه الموضوعات للدراسات الآتية.

- [٩] حسان، تمام (بلا تا) اللغة العربية معناها و ميناها، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، (المغرب).
- [١٠] داية، فايز (١٩٩٦) علم الدلالة العربي، النظرية و التطبيق، دمشق: دار الفكر، ط ٢.
- [١١] رازي، محمد بن أبي بكر (١٩٨٣) مختار الصحاح، الكويت: دار الرسالة.
- [١٢] رازي، فخرالدين (١٩٨٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السامرائي و محمد بركات، عمان: دار الفكر.
- [١٣] زكريا، ميشال (١٩٨٣) الألسنية، علم اللغة الحديث، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط ٢.
- [١٤] زكي حسام الدين، كريم (١٩٩٣) أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣.
- [١٥] زمخشري، جار الله (١٩٨٦) أساس البلاغة، مصر: الهيئة العامة للكتاب.
- [١٦] زملكاني، كمال الدين عبد الواحد (١٣٩٤ق) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجه حديثي - أحمد مطلوب، بغداد: مطبعة العاني.
- [١٧] زوين، علي (١٩٨٦) منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، دار شؤون الثقافة العامة.
- [١٨] سمران، محمود (١٩٩٧) علم اللغة (مقدمه للقارئ العربي)، القاهرة: دارالفكر العربي، ط ٢.
- [١٩] سبيويه، عمرو بن عثمان (١٩٩٨) الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة و النشر، ط ٣.
- [٢٠] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (بلا تا) المزهرة في علوم اللغة، شرح و تصحيح و تعليق محمد أحمد جاد المولى، و آخران، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي و شركاه.مصر.
- [٢١] عكاشة، محمود (٢٠٠٥) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، القاهرة: دار النشر للجامعات، ط ١.
- [٢٢] عمران، حمدي بخت (٢٠٠٧) علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- [٢٣] فيروزآبادي، محمد بن يعقوب (١٩٨٣) القاموس المحيط، بيروت: دار الفكر.
- [٢٤] قدور، أحمد محمد (١٩٩٦) مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، ط ١.
- [٢٥] القرطاجي، أبو الحسن حازم (١٩٦٦) منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، تونس: دار الكتب الشرقية.
- [٢٦] مبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (بلا تا) المقتضب، تحقيق محمد بعد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب.
- [٢٧] مختار عمر، أحمد (١٩٢٨) علم الدلالة، الكويت: مكتبة دار العروبة، ط ١.
- [٢٨] مسدي، عبد السلام (١٩٨١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط ١.
- [٢٩] مطلوب، أحمد (١٩٨٣) البلاغة عند الجاحظ، بغداد: منشورات وزارة الثقافة و الإعلام .

جلوه‌هایی از پژوهش‌های معناشناختی در

میراث عربی و اسلامی

مهین حاجی زاده^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۱۲/۲۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۱۰/۱۳

پدیده معنی از موضوعاتی است که از دیر باز اندیشه بشر را به خود مشغول داشته است. نقش علمای مسلمان و عرب در بررسی مسایل مربوط به معنا بسیار حائز اهمیت بوده است. در ابتدا انگیزه اصلی آنها، از روی آوردن به مطالعه زبان، بیشتر انگیزه دینی و حفظ کتاب خدا از تحریف و نیز فهم عمیق قرآن کریم و استخراج احکام شرعی آن بوده است، بنابراین ترس از اختلاف و فساد معنا در تلاوت آیات بزرگ‌ترین تأثیر را در پیدایش و روی آوردن علمای مسلمان به مطالعات معنایی داشته است. به همین دلیل کلیه بحث‌های زبانی علمای مسلمان از همان ابتدا متمرکز بر معانی و مقاصد قرآنی بوده است.

لازم به ذکر است که معنی‌شناسی در میراث عربی و اسلامی در ابتدا به عنوان علمی مستقل با موضوعات و استانداردهای ویژه نبود بلکه معمولاً در خلال مباحث زبانی دیگری بررسی می‌شد. از این رو متأسفانه بسیاری از پژوهشگران معتقدند که معنی‌شناسی به برکت پژوهش‌های زبان‌شناسی نوین شکل گرفته و رشد کرده است و علمای مسلمان هیچ گونه آشنایی با این علم نداشتند و به طور کلی علم معنی‌شناسی ثمره‌یی از ثمرات مطالعات زبان‌شناسی نوین است. اما در واقع پژوهش‌های معنایی عربی از قرن‌های سوم، چهارم، و پنجم هجری آغاز شده، و به قرن‌های بعدی امتداد یافته است و این تاریخ زود هنگام به معنای پختگی مطالعات معنایی علمای مسلمان و عرب است.

مقاله حاضر در صدد است تا نخست به تبیین تلاش‌های علمای مسلمان و عرب در مطالعات مربوط به معنا پرداخته و میزان اهتمام آنها را به معنی‌نشان دهد. سپس برای اثبات اصالت معنا نزد پژوهشگران عرب اعم از لغویها، نحویان و بلاغی‌ها دلایلی را ارائه داده و بیان کند که معنی‌شناسی علمی، عربی - اسلامی است که دارای ویژگی‌ها و مشخصه‌های خاصی است. در عین حال به این

۱. استادیار و عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت معلم آذربایجان، hajizadeh_tma@yahoo.com

نکته اذعان دارد که علم زبان شناسی در نهادینه کردن روش های تحقیق در زمینه معنی شناسی و تدوین اصول آن نقش برجسته ای دارد. به گونه ای که مطالعات مربوط به معنی، بعد از آن که به طور پراکنده در خلال علوم دیگر بررسی می شد، به فضیلت علم زبان شناسی به علمی مستقل تبدیل شده است. علاوه بر آن پژوهش حاضر با ذکر نمونه هایی، اثبات می کند که علمای عربی و مسلمان در خلال مطالعات زبانی خود به بسیاری از دستاوردهای مطالعات معنایی نوین دست یافته اند و از این جهت می توان معنی شناسی را علمی قدیم دانست که زبانشناسان عربی و مسلمان قرن ها پیش به آن پرداخته اند و از سویی می توان آن را علمی جدید به شمار آورد، چرا که اصول و پایه ها و روش بررسی آن در آغاز قرن بیستم، مشخص و تعریف شده است.

کلید واژگان: معنی شناسی، معنا، سنت، زبان شناسی، دانشمندان زبان عربی و اسلامی.